كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

التشويق الفني في القصة القرآنية
قصة طالوت وجالوت نموذجاً

إعداد

د / رجب أحمد عبد الرحيم حسن

مدرس البلاغة والنقد الأدبي
كلية دار العلوم- جامعة المنيا

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الأول)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

التشويق الفني في القصة القرآنية
قصة طالوت وجالوت نموذجاً

رجب أحمد عبد الرحيم حسن
البلاغة والنقد الأدبي – كلية دار العلوم– جامعة المنيا – المنيا – مصر
البريد الإلكتروني : ragab.ahmed@mu.edu.eg

الملخص :

ترصد هذه الورقة البحثية مظاهر التشويق الفني في القصة القرآنية، متخذة من قصة طالوت وجالوت مثالا تطبيقيا عمليا على جماليات التشويق المعجز الذي غلف القصة من بدايتها لنهايتها ، وقد عرضت الورقة البحثية نبذة عن التشويق عموما في البلاغة العربية القديمة، وتوصلت إلى أن البلاغة العربية القديمة لم تتخذ مصطلحا خاصا بالتشويق، وإنما تحدثت عن مضمون التشويق وعناصره. وأما التشويق في القصة الحديثة، فقد اشتمل عناصر عدة، هي: البداية ،والصراع، والعقدة، والتوقيت، والإيقاع، والنهاية. وهذه العناصر مجتمعة هي التي تقوم بربط أحداث القصة، من بدايتها لنهايتها. والذي دعانا لاختيار هذا الموضوع هو بكارته في مجاله، فلم يخصه أحد– فيما أعلم– بدراسة سابقة، ولذا كان علينا بيان عناصر التشويق في القصة القرآنية على العموم، وفي قصة طالوت وجالوت على وجه الخصوص. ولكي نوفي هذه الورقة حقها فقد ارتأيت أن تشتمل هذه الدراسة على المباحث التالية: التشويق في البلاغة القديمة ، وبعده التشويق بين القصة الحديثة والقصة القرآنية، وفي الآخر يأتي الحديث عن عناصر التشويق الفني في قصة طالوت وجالوت، ولكي نحقق هذه البنود فقد اخترنا المنهج الفني؛ نظرا لأن المنهج الفني يعتمد على عناصر موضوعية،

وعلى أصول فنية، لها حظ من الاستقرار، فهو منهج ذاتي موضوعي، وهو أقرب المناهج الى طبيعة الأدب.

الكلمات المفتاحية : التشويق الفني- البلاغة العربية – القصة القرآنية – قصة طالوت وجالوت- الحدث- الشخصيات – البدايات والنهايات- المفاجأة – السرد القصصي- المناسبة.

Technical suspense in the Quranic story
The story of Taloot and Goliath as a model

Ragab Ahmed Abdel Raheem Hassan
Department of Rhetoric and Literary Criticism - Faculty of Dar Al Uloom - Minia University – Minia - Egypt
ragab.ahmed@mu.edu.eg :E-mail

Abstract:
This research paper examines the manifestations of artistic suspense in the Quranic story, taking the story of Taloot and Goliath as a practical example of the aesthetics of the miraculous suspense that enveloped the story from its beginning to its end. The paper presented an overview of suspense in general in ancient Arabic rhetoric, and concluded that the ancient Arabic rhetoric did not take a term for suspense, but rather talked about the content and elements of suspense. As for the suspense in the modern story, it included several elements, namely: the beginning, the conflict, the node, the timing, the rhythm, and the end. These elements combined are what connect the events of the story, from beginning to end. What called us to choose this topic is his virginity in his field, no one - as far as I know - has assigned him a previous study, and therefore we had to explain the elements of suspense in the Qur'an story in general, and in the story of Taloot and Goliath in particular. In order for this paper to be fulfilled, it was decided that this study should include the following topics: The suspense in the ancient rhetoric, and after it the suspense between the modern story and the Quranic story, and in the other comes the discussion of the elements of artistic suspense in the story of Taloot and Goliath, and in order to achieve these items, we have chosen the artistic method. Because the artistic curriculum depends

on objective elements, and on artistic assets that have a chance of stability. It is a subjective and objective curriculum, which is the closest to the nature of literature.
Keywords: artistic suspense - Arabic rhetoric - Quranic story - story of Taloot and Goliath - event - characters - beginnings and ends - surprise - storytelling - occasion.

المقدمة

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، سبحانه وتعالى، قصرت عبارة البلغاء عن الإحاطة بمعنى آياته، وعجزت ألسن الفصحاء عن بيان بدائع مصنوعاته، والصلاة والسلام على نبي وضاء، يجلو الظلام، وبوجهه يسقى الغمام، وبعد.

فالقصة القرآنية معين لا ينضب من السحر الحلال، والجمال والجلال، بما خصت به من إعجاز قصصي رباني، شهد له القاصي والداني، فلقد اشتملت على روائع البيان، وحسن العرض، والتشويق؛ ولهذا فالقصة من أحسن أساليب الخطاب التي اتخذها القرآن الكريم، لغاية دينية وجمالية معا؛ ولذلك جاء ثلث القرآن، أو أزيد من ثلث القرآن قصصًا، وهذا يدل على أهمية القصص في نقل الرسالة الدعوية، والخطاب الديني.

والقصة القرآنية بها العديد من عناصر الجذب والتشويق، مثل: غرائبية الحدث، وتدخل العوامل الغيبية التي تأتي لتقلب مسيرة الأحداث، إضافة إلى التنويع في طرق العرض، وانتقاء العناصر التي تظهر للقارئ، وتضبيب عناصر أخرى، كذلك إرجاء بعض المعلومات، والتدوير القصصي،واللازمات، والعناصر المكررة، إلى غير ذلك، من عناصر مشوقة؛ ولذا يقول تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) (يوسف: ٣).

وبالرغم من أن القصة القرآنية قد سيقت في الأساس لتحقيق أغراض دينية، إلا أنها قد حملت في أثنائها عوامل الإثارة والتشويق وجذب الانتباه، بما خصت به من جمال العرض، والاقتصاد الفني، والبدايات المشوقة،وبراعة التصوير.

ولكي نوضح ذلك فإننا اخترنا قصة طالوت وجالوت نموذجا، لأن التشويق في هذه القصة المعجزة قد بلغ الغاية والنهاية، حتى لقد قال عن الآيات التي ذكرت فيها القصة الإمام البقاعي : " علت هذه الآيات عن أقصى ما يعرفه البصراء البلغاء من الغايات، وتجاوزت إلى حد تعجز العقول عن مناله، وتضاءل نوافذ الأفهام عن الإتيان بشيء من مثاله." (١)

فالقصة على الجانب الفكري، توضح حقيقة الشخصية الإسرائيلية المتمردة والجبانة، في كل عصر ومصر، فهذه الشخصية مراوغة في الاستجابة لأوامر الله فهي ما تفتأ تتهرب من أوامره- سبحانه- متخذة كل وسيلة وأداة للهروب والعصيان والكفران. ولذا جاءت هذه القصة لتلقي الضوء على حادثة نموذج لما صدر عن هذه الشخصية عبر التاريخ.وأما الجانب الفني في تصوير ذلك فقد صورته تلك القصة على نحو معجز مكتمل الأركان البيانية والتعبيرية، على نحو يعجز عنه البشر بوسائل مشوقة كثيرة، ستكشفها – بفضل الله- هذه الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع :

- القصة القرآنية معين لا ينضب من البيان الإعجازي.

- هذا الموضوع بكر في مجاله، فلم يخص- فيما أعلم- بدراسة سابقة على هذا النحو.

-قصة طالوت وجالوت بها العديد من جوانب الإثارة والتشويق الفني التي ستميط هذه الدراسة اللثام عنها.

(١) البقاعي (برهان الدين أبو الحسن إبراهيم): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩١م، ٣ / ٤٤٤ .

منهج الدراسة :

لكي نصل بهذه الدراسة إلى ما تصبو إليه من كشف الجوانب البيانية والفنية، ومكامن التشويق في قصة طالوت وجالوت اخترنا المنهج الفني؛ نظرا لأن المنهج الفني يعتمد على عناصر موضوعية، وعلى أصول فنية لها حظ من الاستقرار. فهو منهج ذاتي موضوعي، وهو أقرب المناهج الى طبيعة الأدب، وطبيعة الفنون على وجه العموم.

خطة الدراسة :

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة، وخاتمة، وثلاثة مباحث.

المقدمة : تشتمل على أسباب اختيار الموضوع، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

المبحث الأول – التشويق في البلاغة القديمة.

المبحث الثاني– التشويق بين القصة الحديثة والقصة القرآنية.

المبحث الثالث– عناصر التشويق الفني في قصة طالوت وجالوت.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التشويق في البلاغة القديمة

التشويق لغة واصطلاحا :

قال ابن منظور : "الشوق والاشتياق، نزاع النفس إلى الشيء، والجمع أشواق، شاق إليه شوقا، وتشوق، واشتاق اشتياقا . والشوق، حركة الهوى. وشاقني شوقا ، وشوقني، هاجني، فتشوقت، إذا هيج شوقك، ويقال منه: شاقني حسنها، وذكرها يشوقني، أي هيج شوقي."[1] ويلاحظ هنا أن التشويق شيء معنوي داخلي، غير محسوس.لكنه يؤثر أيما تأثير في نفس المشتاق.

ومما يستعمله العرب مرادفات لكلمة الشوق: الكلف، والغرام، والشغف، والوجد، والتوق، والحنين، والميل، والنزاع، والصبابة. [2] وكل هذه العناصر نفسية داخلية، تحركها المشاعر والأحاسيس الداخلية.

واستئناسا بالمعنى المعجمي لهذه الكلمة، فإن مصطلح التشويق يقصد به هنا: مدى إثارة المادة المقروءة لدافعية القارئ واهتماماته، واجتذابها له.[3]

---

(١) ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ٦٣٠هـ) : لسان العرب ، تحقيق : أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، طبعة أولى ١٤١٦ه- ١٩٩٥م ، مادة شوق ٢٣٩/٧.

(٢) عبد الحفيظ أحمد أديدميج : أساليب التشويق البلاغية في الأحاديث النبوية من خلال الصحيحين، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف الأستاذ الدكتور الشحات محمد أبو ستيت ، كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، قسم الأدب والبلاغة ،١٤٢٤هـ ص ٣٨.

(٣) دكتور إبراهيم محمد عطا : عوامل التشويق في القصة القصيرة لطفل المدرسة الابتدائية ، مكتبة النهضة المصرية، ط١ / ١٩٩٤م ،ص١٧ . .

التشويق في البلاغة القديمة :

بالرجوع للبلاغة القديمة لا نجد مصطلحا خاصا بالتشويق، وإنما وجدنا الحديث عن مضمون التشويق وعناصره، فعبد القاهر الجرجاني يقول:" ومن المركوز في الطبع، أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيله أحلَى، وبالمزيّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنّ وأَشْغَف." (١)

فعبد القاهر هنا يصف فعل التشويق، وأهمية تأثيره النفسي،ويرجع ذلك إلى الطبيعة البشرية التي تستلذ بمعاينة الأشياء، بعد جهد جهيد، وتنقيب بعيد.

وتشتمل الدعوة التي أطلقها البلاغيون قديما، لمراعاة المتلقي، على التشويق والإثارة أيضا، واستخدام كل الوسائل التعبيرية للتأثير في المتلقي ، يقول السكاكي: " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب (...) وكذا مقامُ الكلام مع الذكي، يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضًى غير مقتضى الآخر." (٢)

فالسكاكي هنا يدعو من طرف خفي للتشويق، فكل مقام يحتاج لتشويق ما يلائمه؛ حتى يؤثر في المتلقي، فما يحتاجه مقام الشكر، لا يحتاجه مقام التعزية.

أمّا الخطيب القزوينيّ، فكان كلامه المستفيض عن بلاغة التشويق في باب الإطناب. فيقول في بيان أنواعه، وذكر فوائد الإيضاح بعد الإبهام، وكشف روائعه:

---

(١) الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت٤٧١هـ) : أسرار البلاغة ، تحقيق: محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة الطبعة الاولى ،١٤١٢ه١٩٩١م ، ص١٣٩.

(٢) السكاكي(يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب ت ٦٢٦هـ) : مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ه ١٩٨٧م ، ص ١٦٨.

" إمّا بالإيضاح بعد الإبهام، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكّن، فإنّ المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام، تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجّه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك؛ تمكن فيها فضل تمكن، وكان الشعور به أتمّ، أو لتكمل اللذّة بالعلم به، فإنّ الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة، لم يتقدّم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المجهول لذّة، وبسبب حرمانها من الباقي ألم، ثمّ إذا حصل لها العلم حصلت لها لذّة أخرى، واللذة عقيب الألم، أقوى من اللذة التي لم يتقدّمها ألم، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه." (١)

فعناصر التشويق ووسائله بادية في هذا النص، فمن وسائل التشويق هنا- كما يرى القزويني- الإيضاح بعد الإبهام، فهو عنصر مشوق تحبه النفس وتتحرك له، فالإبهام يشوق المتلقي لمعرفة كنه المجهول، فالنفس البشرية مفطورة على البحث عن المبهمات، ولذا بحث آدم (عليه السلام) عن المبهم، فأكل من الشجرة، وهذا الأسلوب مارسته القصة الحديثة فيما يعرف بالمماطلة، وإرجاء المعلومات.

(١) الخطيب القزويني(محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي ت ٧٣٩هـ) ، الإيضاح (وعلى هامشه البغية لعبد المتعال الصعيدي)، مكتبة الآداب (القاهرة)، (١٤١٢هـ-١٩٩١م) ٢/ ١٣٣.

المبحث الثاني

التشويق بين القصة الحديثة والقصة القرآنية

التشويق في القصة الحديثة :

التشويق عُدة القصة الحديثة، ومكمن حياتها، وروحها التي بهـا تعـيش، فبدون التشويق في عناصر القصة لا يمكن لها أن تحيا، ولا يمكـن للقـارئ أن يمضي في قراءتها ، وهذا أمر جُبل عليه الأقدمون والمحدثون، فها هو ابن قتيبة ينقل ما كتبه بعض الكتاب إلى صديق له فيقول : "وصل إليّ كتابك، فما رأيت كتابا أسهل فنونا، ولا أملس متونا، ولا أكثر عيونا، ولا أحسن مقاطع ومطالع، ولا أشد على كل مفصل حزا منه. أنجزت فيه عدة الرأي، وبشرى الفراسة، وعاد بك الظن يقينا، والأمل فيه مبلوغا."(١)

وهذا يدل على عوامل التشويق في ذلك الكتاب، الذي يجذب القارئ، فيجعله لا يمل من القراءة من البداية للنهاية.

ويرى أحد المتخصصين، أن التشويق والدهشة من الصفات التي يجـب أن تتوافر في الكتاب ؛ لكي يكتب له النجاح. يقول رشاد رشدي : " ومما لا شك فيه أن كثيرين من الكتاب اليوم يكتبون ونصب أعينهم إثارة الشوق أو الدهشة فـي نفوس القراء، ومما لا شك فيه أيضا أن هؤلاء الكتاب يصيبون نجاحا ملحوظـا، لكنه في أغلب الأحيان نجاح مؤقت؛ لأنه يعتمد على الجديـد، والجديـد يتغيـر، ويزول مع الزمن." (٢)

---

(١) ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ) : كتاب عيون الأخبـار، المجلد الأول، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٤٢٥ه ، ص ٤٧.

(٢) رشاد رشدي: ما هو الأدب، القاهرة ، الأنجلو المصرية، ط١٩٦٠م ، ص ٤٦ .

والتشويق في القصة الحديثة يعني :" ترقب القراء، أو النظارة، لما ستكون عليه نهاية الأحداث في رواية، أو قصة، أو تمثيلية، وهي صفة من صفات التوتر، تحتفظ باهتمام الجمهور، وتجعله يتساءل : ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ (١)

والتشويق ينبغي أن يكون في جميع عناصر الحبكة الفنية في القصة، والتي تشمل عناصر عدة، هي : البداية ،والصراع، والعقدة، والتوقيت، والإيقاع، والنهاية، وهذه العناصر مجتمعة هي التي تقوم بربط أحداث القصة، من بدايتها لنهايتها، ويكون التأكيد فيها على مبدأ السببية. (٢)

وتتخذ القصة الحديثة عدة أمور لتشويق القارئ، وجذب انتباهه؛ ليظل يقرأ تلك القصة بلا انقطاع ، فمن تلك الأساليب التي تشوق القارئ نذكر:(٣)

- إخفاء سر معين عن القارئ.
- الغموض، والإبهام، والألغاز ، والتناقض، والمفاجأة.
- أسلوب المماطلة.
- حدة الصراع، والمفارقة الكلية والجزئية.
- سرعة الإيقاع. والحركة والحيوية.
- طبيعة الموضوع وغرائبيته.

(١) إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية التعاضدية العمالية ، تونس ، ط١ / ١٩٨٦. ص ٨٨.

(٢) ينظر : علي بن محمد الحمود: من أساليب التشويق في قصص القرآن،بحث منشور بمجلة العلوم العربية، ع١٤، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص ٥ .

(٣) ينظر : دكتور محمد يوسف نجم : فن كتابة القصة ، دار الثقافة ، بيروت ، (د. ت) ص ٤٠-٤٣ ، علي بن محمد الحمود : السابق ، ص ٦ .

ويشترط لنجاح التشويق في القصة الحديثة عدة شروط، نقتصر علي ذكر بعضها، فمنها:

١- ألا تكون عقدة القصة مفتعلة: ومعني ذلك أن الحوادث التي تؤدي إلي خلق هذه العقد، لا بدّ أن تكون بطبيعتها مؤدية إلي حدوثها، بطريقة منطقية غير مصطنعة. (١)

٢- اتساق المقدمات مع النتيجة:أي أن الحوادث التي تمهد لحدوث العقدة، لابد أن تحتوي في طياتها علي مفتاح، أو مفاتيح حل العقدة؛ حلاً يقبله التعليل والعقل السليم.وأحيانا ترفض السرديات الحديثة ذلك، وخاصة التي تغالي في التجريب الحداثي.

٣ - تجنب الأجزاء الميتة: وتعبير الأجزاء الميتة، أو الأعضاء الميتة، يطلق علي المواقف المملة في القصة التي تتلو بعض المواقف القوية، وتسبق البعض الآخر. وهي وسيلة قد يلجأ إليها مؤلف القصة؛ رغبة في إطالتها.والأجزاء الميتة إما أن تكون حواراً مملاً معقداً، بين بعض شخصيات القصة، أو تكون وصفاً مسهباً، لا علاقة له بموضوع القصة، أو واقعة تعترض سير القصة، لا علاقة لها بالهيكل السردي للموضوع.

٤- تجنب العقدة المضادة: والعقدة المضادة، هو ما يعمد إليه بعض المؤلفين؛ لزيادة تعقيد القصة، ظنّاً منهم أن ذلك يضاعف من تشويق القاري.(٢)

---

(١) ينظر : دكتور عمر محمد عمر باحاذق: الجانب الفني في قصص القرآن ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١/ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م ، ص ١٠٠ .

(٢) محمد كامل حسن: القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية، ص ٣٠.

التشويق في القصة القرآنية :

القصة القرآنية شغلت حيزا كبيرا من كتاب الله – عز وجل– يتجاوز الثلث، أو يقل عنه؛ ذلك لأن" أسلوب القصة أمر محبَّبٌ للناس، صغاراً وكباراً، فكانت القصة القرآنية ذات مغزى عميق مؤثر في مشاعر الإنسان، وكان سرد أحداث القصة التاريخية عبرة وعظة، تبين لنا قوة الصراع بين الخير والشر، وتنبه القلب إلي سلامة الإيمان، والاعتقاد باللّه ــ سبحانه ــ ، وتوقظ مشاعر الإنسان؛ لمعرفة حقيقة الكون، وعدم الاغترار بالدنيا، والعمل للآخرة دار الخلد والبقاء والنعيم الأبدي." (١)

والتشويق في القصة القرآنية يعتمد على أساليب متنوعة منها :

– غرائبية الحدث وخوارقه ، فمن ذلك : إلقاء إبراهيم (عليه السلام) في النار ، وعدم إحراقه، كذلك توقف فعل السكين ومخالفة طبيعتها، حين أراد ذبح ابنه عليهما السلام. وفي قصة موسى (عليه السلام) توجد خوارق عدة: منها، تحول العصا في يده لحية، وتحول يده السمراء بيضاء كالثلج، ثم عودتها سمراء. وفي موقف آخر تلقف العصا ما يأفكون. وفي موقف ثالث تقوم العصا بفعل معجز، حيث يضرب بها (عليه السلام) البحر، فيصير طرقا، يعبر عليه قوم موسى. ويهلك قوم فرعون، وفي موقف رابع يتفجر الماء من الصخر بضربة من هذه العصا.

– تنوع الشخصيات ، لقد وجدنا في القصة القرآنية شخصيات متنوعة، فهناك شخصيات من عالم الإنس، وشخصيات من عالم الجن، وشخصيات من عالم الملائكة، وعالم الحيوان.

(١) الدكتور وهبة الزحيلي: القصة القرآنية، دار الخير، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ١٥.

- عنصر المفاجأة ، كما في قصة موسى مع الخضر، وفي قصة سليمان (عليه السلام).

- براعة التصوير، كتصوير الكهف والفتية بداخله .كذلك تصوير هروب قوم موسى من فرعون، ثم تصوير هلاكه.

- التشويق في الحوار ، بما يشتمل عليه من تلوين الأسلوب وتنويعه، وتعدد الحوار ما بين الداخلي والخارجي، فلقد وجدنا حوار الله لملائكته ولرسله ، ووجدنا حوار الأنبياء لأقوامهم، وحوار العذراء لنفسها ولقومها. والحوار الداخلي (المونولوج) لقابيل عند قتله لأخيه.

- الصراع ، لعب الصراع دورا مهما في القصة القرآنية ، فلقد وجدنا صراع إبليس مع آدم ، وصراع الرسل مع أقوامهم ، وصراع أهل الحق مع أهل الباطل.

روعة البدايات والنهايات في القصة القرآنية [1] ، فلقد وجدنا التركيز على عنصر البداية، واختيار الجانب المهم الذي تبدأ به القصة ، كذلك وجدنا النهايات المنوعة التي شحنت بكل أساليب التشويق.

(١) ينظر كتابنا : البدايات والنهايات في القصة القرآنية ، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، دبي الطبعة الأولى، عام ٢٠١٨م .

المبحث الثالث

عناصر التشويق الفني في قصة طالوت وجالوت.

قصة طالوت وجالوت:

سردت الآيات (٢٤٦-٢٥٢) من سورة البقرة هذه القصة، التي تفيد بأنّ وجهاء بني إسرائيل (الملأ) ذهبوا يومًا إلى نبيهم، وطلبوا منه أن يبعث الله لهم ملكًا، ليحاربوا تحت رايته، كونهم مظلومين ومشردين في الأرض، فكان السؤال الموجه من نبيهم لهم، بأنهم إن كتب عليهم القتال فلن يقاتلوا، لكنهم أكدوا للنبي بأنهم سيقاتلون: كونهم طُردوا من ديارهم وساءت أحوالهم، فاستجاب الله لنبيهم وبعث(طالوت) من أبناء بنيامين بن يعقوب ملكًا، وفضّله عليهم لعلمه وقوة جسده، لكنهم اعترضوا على طالوت لفقره، وعدم غناه، وكونه لا ينتسب لسلالة الملوك.

وكان لطالوت آيةٌ في ملكه، وهي أن يُحضر تابوت العهد محمولا على أيدي الملائكة؛ليتأكدوا من نبوته، ويطيعوا أمر الله. فكوّن طالوت جيشًا، وجهّزه لمواجهة أعداء بني إسرائيل الذين كانوا يُسمون بالعمالقة، فسار الجيش مسافةً طويلةً، حتى شعر الجنود بالعطش الشّديد، فحذّر الملك طالوت الجنود، بأنّهم سيقابلون بعد قليل نهرًا، فمن شرب منه فهو ليس من الجيش، ومن لم يشرب منه، واكتفى بِبل ريقه فقط، فهو من الجيش، وعند وصولهم للنّهر، شرب منه الكثير من الجنود الضعفاء، وخرجوا من جيش طالوت، فكان هذا الاختبار لمعرفة من يطيع، ومن يعصي من الجنود، فلم يبقَ من جنود طالوت، سوى ثلاثمائة وثلاثة عشر جنديًا، ممن اتّصفوا بالشّدة، والقوة، والإخلاص، في حين كان جيش أعدائهم بقيادة (جالوت) أكثر عددًا وعتادًا، ممّا أدى لشكوك بعض جنود طالوت،

بإمكانية هزيمة هذا الجيش الكبير، ولكن المؤمنين من الجيش ثبتوهم بقوله تعالى :(كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ)(البقرة:٢٤٩).

عند ظهور جالوت بأسلحته القوية، وعتاده طلب أن يبارزه أحد الجنود، ممّا أخاف جنود طالوت جميعهم، حتى برز من جيش طالوت راعٍ للأغنام بسيط وفقير، يدعى داود، وكان مؤمنًا بالله، وصاحب عقيدة قوية، ويعلم أنّ قوةَ النّفس يستمدها المرء من إيمانه بالله، وليس بالقوة المادية، وأنّ النصرَ بيد الله وحده، إذ وعد الملك طالوت، بأنّ من يقتل جالوت سيعيّنه ملكًا على جيشه، ويزوجه ابنته، وكانت أخلاق داوود الإيمانيّة، تدفعه لقتل جالوت من باب إزالة طاغية وظالم، لا يتقي الله، وليس من أجل الزواج والسلطان، فتمت المبارزة بين داود الذي يمتلك عصا، وخمسة أحجار، ومقلاع الرّعاة، في حين كان جالوت يعتدّ بأسلحة قوية ودروع، ممّا دعا جالوت للسّخرية من داود لضعف مظهره، فما كان من داود إلا أن قام بوضع حجرٍ قويٍّ فى مقلاعه، فأصاب جالوت به فقتله، ثم احتدم القتال بين الجيشين، وانتصر جيش طالوت بإذن الله عز وجل، وأصبح داود ملكًا، ونبيًا لبنى إسرائيل، فجمع الله له الملك والنّبوة [1].

التشويق في قصة طالوت وجالوت :

تعد هذه القصة في سورة البقرة، من أشد القصص إثارة من حيث غرائبيتها،ومن حيث عرضها المثير لأحداثها، وشخصياتها،ومواقعها، ومن حيث بدايتها ونهايتها، والهدف الفكري منها؛ ولذا كانت عناصر التشويق كثيرة جدا في قصة طالوت وجالوت نجملها في الآتي:

(١) للمزيد من تفاصيل هذه القصة ينظر من التفاسير المرجعية : أبو حيان الأندلسي(محمد ابن يوسف): البحر المحيط، تحقيق : عادل أحمد، على معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣ه، ٢/ ٢٨٥. البقاعي: نظم الدرر ٣/ ٣٨٧.

١- البداية المشوقة : لقد وجدنا التشويق الرائع في بداية القصة من وسط الأحداث، لا من بدايتها، فقد بدأت القصة من وسط الأحداث، بطلب الملأ من بني إسرائيل إرسال ملك يقودهم ، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا) (البقرة: ٢٤٦).

يعتمد السرد هنا على ما يسمى في السرديات الحديثة بالنسق الزمني المتقطع [١] ، حيث لا تبدأ الأحداث من بدايتها ولا من نهايتها، وإنما من نقطة تأزم في وسط الأحداث، لتعزيز التشويق.

والبداية من وسط الأحداث هنا على هذا النحو طوت ذلا كثيرا، ومهانة عظيمة لحقت بهم، تمثلت تلك المهانة في ذلك الاستعباد الذي قام به (جالوت)،

(١) هذا النسق يعرف في القصة الحديثة بالنسق المتداخل، حيث تتقاطع الأحداث وتتداخل، دون ضوابط منطقية، وتقدم دون الاهتمام بتواليها،إنما بكيفية وقوعها، فلا يوجد نظام يوجه سير الأحداث، أو ضابط لها، على وفق منهج معين ، وهدف هذا النوع من البناء هو تداخل مستويات الزمن: (حاضر ، ماضي ، مستقبل)، مما يسهل للأحداث،أن توظف تبعا للغاية، التي يهدف الكاتب إلى تحقيقها، وهذا النمط جاء ردا على البناء المتتابع، وأسس نمطا جديدا يترتب في ضوئه الحدث، دون أن يخل بجوهره، لأن التغير يحدث في ترتيب الحدث، لا في جوهره (ينظر دكتور صالح على حسين الجميلي : الحدث وتشكيلاته في قصص حسن حميد، مجلة جامعة تكريت، مجلد١٧ ع١ / ٢٠١٠م : ص ٧ . عبد الله إبراهيم: البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩٤م ، ص٣٨ . عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي،بيروت،ط١ – ١٩٩٠م ، ١٠٩، ، ص١١٠. جيرار جينت: خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم وآخران، المجلس الأعلى للثقافة ، بمصر، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م، ص٤٥).

أحد الملوك الجبابرة الذي أذلهم، من بعد وفاة موسى (عليه السلام)، لقد أخرجهم من ديارهم، وسبى ذراريهم، حتى ضجوا من ذلك، وعرفنا ذلك الذل الذي لحق بهم من خلال قول الملأ للنبي: (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) (البقرة: ٢٤٦).

والقارئ يتساءل هنا: لماذا لم تبدأ القصة من بداية أحداثها؟ لماذا لم تصف القتل، والسبي، والاغتصاب، والدمار، وخراب الديار، الذي لحق بهم؟ إن وسائل العرض الحديثة(كالسينما)مثلا، لو أتيح لها تناول تلك القصة وعرضها للجمهور، لبدأت بصراخ بني إسرائيل وترويعهم وعويلهم، أما القصة القرآنية فلم تظهر ذلك كله، ولم تبدأ به؛ لماذا؟ حتى لا يتعاطف القارئ مع الإسرائيليين؛ ويتفاعل معهم وجدانيا، ويرق لهم عاطفيا، ويحنو عليهم تاريخيا؛ لأنهم قوم يستحقون ما يحدث لهم، بسبب طبائعهم الملتوية، وأفعالهم الشنيعة، وجرائمهم الفظيعة.

٢-من عناصر التشويق العجيبة أن القصة في تلك البداية من الوسط، لم تخف ما سيحدث من الشخصية الإسرائيلية، وما ستؤول إليه أحداث القصة [١] ، فقد نصت عليه هنا من البداية بقوله تعالي: (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (البقرة: ٢٤٦) ، فهذا إجمال للقصة وما سيحدث فيها، وهذا الإجمال لذيذ، يجعل القارئ شغوفا، لمعرفة، كيف تولوا؟ وأين اختفى

(١) يسمى هذا في القصة الحديثة الاستباق الزمني، وهو تقانة زمنية، تستشرف مستقبل الأحداث، وتقرأ القادم منها،فتخبر صراحة أو ضمنا، عن أحداث، أو أقوال، أو أعمال سيشهدها السرد في وقت لاحق، فالسرد في هذه التقانة يسعى صعودا من الحاضر إلى المستقبل ، (دكتور رمضان على عبود: الزمن في قصص جمال نوري، مجلة آداب الفراهيدي، العدد ١٧، ٢٠١٢م، ص١٠).

الملأ من صدارة المشهد؟ وكيف انفض الجيش ولم يبق إلا القليل؟ القارئ يريد أن يعرف ماذا حدث؟ ولم حدث؟ وكيف يتولون وهم من طلبوا القتال؟ وما الذي دعاهم لذلك؟ كل تلك الأسئلة تبحث عن إجابات، ينتظرها القارئ في تفصيل أحداث القصة، ومن هنا تأتي أهمية ذلك الإجمال، ومن هنا علمنا أهمية نص القزويني السابق الذي يقول:" فإنّ المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام، تشوّقت نفس السامع إلى معرفته، على سبيل التفصيل والإيضاح."

٣- مطابقة القصة للأحداث في عهد النبوة، وهذا من المناسبات المشوقة، ومن مطابقة الحال كما تقول البلاغة القديمة، حيث ذُكِرَت القصة في سورة البقرة، التي نزلت لبناء وتنظيم الدولة الإسلامية الجديدة، كما أن نزولها كان قبل غزوة بدر، وكان لها عظيم الأثر في نفوس المسلمين، وإعدادهم معنويًّا؛ لمواجهة أحداث قد سبقهم في مثلها مؤمنون مثلهم، وقد كانوا قلة قليلة مثلكم، أو كما ستكونون في بدر، بل إن الآثار الواردة تؤكد التطابق في العدد، كما ورد في البخاري بسنده عن البراء -رضي الله عنه- قال: "كنا - أصحابَ محمد - صلى الله عليه وسلم - نتحدثُ أن عِدَّة أصحابِ بدر، عدةُ أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يتجاوز معه إلا مؤمنٌ بضعةَ عشرَ وثلاثُمائة" [(١)] ، وكما كان النصر حليف الفئة القليلة المؤمنة من أصحاب طالوت، كان النصر - أيضًا - حليف الفئة القليلة المؤمنة من أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- حينما تغيرَتْ موازين القوى، بتدخل المشيئة الإلهية وإرادتها؛ لتحقيق النصر كما سيتبين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من رواية البراء بن عازب ، رقم ٣٩٥٨.

٤- عنصر المفاجأة في أحداث القصة : أحدث عنصر المفاجأة تشويقا كبيرا، حيث كان عنصر المفاجأة مسيطرا على أحداث القصة من بدئها لختامها على النحو الآتي :

-بداية القصة من وسط الأحداث -كما قلنا- ونفاجأ بطلب الملأ من بني إسرائيل لنبي لهم، أن يرسل لهم ملكا، ونحن لا نعلم ما سبب ذلك؟ لنفاجأ أن ذلا حدث لبني إسرائيل، لم تذكره الآيات، عرفناه من قول الملأ لنبيهم: (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) (البقرة: ٢٤٦).

-مفاجأة الملأ لاختيار السماء ملكا، ليس من سلالة الأنبياء والملوك، فطالوت لم يكن من أسرة لاوي التي ظهر منها الأنبياء ، ولا من أسرتي يوسف أو يهوذا اللذين ظهر فيهما الملك، وكانوا يتمنون أن يكون الملك منهم، لكنهم فوجئوا باختيار السماء لفقير من أسرة بنيامين المغمورة.

-مفاجأة الملأ للنبي، برفض أن يكون الملك عليهم هو طالوت، وما كان لهم أن يرفضوا، فهم من طلبوا أن تعين لهم السماء ملكا، لقد طلبوا التعيين من القوة الدينية المعنوية المقدسة، فالقارئ لا يتوقّع أي اعتراض على هذه الشخصية العسكرية؛ لأنها جسدت أحلام الاسرائيليين بالشكل الذي طلبوه بأنفسهم، ولكنها العقلية الإسرائيلية المعاندة والمكابرة، في كل عصر ومصر.

-مفاجأة طالوت نفسه وهو الفقير باختيار السماء له، وما كان يحلم بهذا الاختيار في يوم من الأيام؛ نظرا لأنه فقير، من أسرة فقيرة.

- مفاجأة القوم بآية حسية يشاهدونها، وهي إتيان التابوت الذي قد فقدوه زمانًا طويلاً، وفي ذلك التابوت سكينة تسكن بها قلوبهم، وتطمئن لها خواطرهم، وفيه بقية مما ترك آل موسى، وآل هارون، فأتت به الملائكة حاملة له وهم يرونه عيانًا، وإتيان التابوت على هذا النحو بشارة بالنصر.

-مفاجأة الجنود بالنهر الذي اختبرهم الله به، فطلب منهم طالوت أن يكتفوا بغرفة من النهر فقط، لكن أكثرهم لم يكتف بغرفة واحدة، بل تتابعوا في الشرب خوفا من ملاقاة جالوت، فحدثت المعجزة أن كل من أكثر من الشرب أصابه العطش، ومن اغترف غرفة واحدة؛ طاعة لله ورسوله روي. وهنا تناقص عدد الجيش، فلقد كان عدد الجيش كما يذكر صاحب التحرير والتنوير [1] ثلاثة آلاف رجل، ثم تناقصوا إلى ستمائة رجل، وثبت منهم كما ذكر حديث البخاري بضعةَ عشرَ وثلاثُمائة.

-المفاجأة بظهور داود على مسرح الأحداث، ولم يكن له ذكر من قبل ، حيث تبدو المفارقة الواضحة بين قوته وقوة جالوت، فحين يقتل داود جالوت، فإن ذلك الحدث، يفاجئ المتلقي مفاجأة لم تكن في الحسبان.

٥- الاقتصاد والإعجاز في السرد القصصي : من عناصر التشويق التي وجدناها في تلك القصة، ما رأيناه من اقتصاد وإعجاز في السرد على النحو الآتي :

-إبهام الزمن :فزمن القصة غير معروف، اكتفت الآيات بأن تذكر بأنه كان من بعد موسى، وربما فعلت الآيات ذلك لتوضح أن أخلاق اليهود الشنيعة، ليس لها زمن محدد، فأخلاق العناد والمكابرة والعصيان في كل زمن.

-الشخصيات: لم تتوقف الآيات لتصفهم داخليا وخارجيا، فالشخصيات في القصة هي: الملأ، والنبي، وطالوت، وجالوت، وداود، وبنو إسرائيل ، والملائكة، فلم يتوقف السرد عند وصف تلك الشخصيات، أو توضيح شيء من مسيرة حياتهم، إلا ما كان من وصف طالوت، بأن الله زاده بسطة في العلم والجسم، وهذا

(١) الإمام محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ٢ / ٤٩٩.

وصف انتقائي مهم لنجاح الشخصية في مهمتها. وعدم وجود معلومات كافية عن هذه الشخصيات، يشوق القارئ للبحث المعرفي عنها.

– الحوارات: كان هناك اقتصاد في سرد الحوارات ،فالقوم لم يذكروا في طلبهم بداية، أية معلومات عن السبب الذي جعلهم يطلبون تعيين ملك عليهم، كما أن الآيات لم تذكر ردة فعلهم عند رد النبي عليهم :(قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٤٧). فلم يذكر السرد هنا حوارهم، أو ردهم على النبي ، كذلك لم تذكر الآيات ردة فعلهم على إتيان التابوت لهم، أو عن موافقتهم على الجهاد، وهذا فهمناه لاحقا من اقتناعهم بطالوت، وتحركهم معه نحو الجهاد.

– الوقائع : اقتصدت الآيات كثيرا في ذكر الوقائع، والحالة الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والعسكرية، للقوم، وذكرت ما يدل عليه، على نحو موجز مشوق ،فكلمة الملأ، ومعناها :الوجهاء الذي يملئون العين مهابة، وضحت أن هناك طبقة الأغنياء الذين لهم الكلمة في ذلك الزمان، في مقابل طبقة فقيرة ضعيفة لا ينظر إليها، وكانت المفاجأة أن الملك جاء من هذه الطبقة.

كما أن البسطة في العلم بينت الحالة الثقافية، إضافة إلى التابوت الذي فيه ألواح التوراة، كما أن البسطة في الجسم بينت الحالة العسكرية والثقافية التي كانت موجودة في ذلك الزمان، كذلك وجود شخصية جالوت وجيشه التي تدل على مدى قوة الجيوش وتنظيمها في ذلك الزمان البعيد.

كذلك أعرضت القصة عن ذكر اعتراضهم على طالوت، ورغبتهم في الفرار من الحرب، ومحاولاته المستميتة من أجل أن يلتحقوا بجيشه، وعنادهم أثناء المسير للقتال.

٦- العجائبية في أحداث القصة : انطوت تلك القصة على أحداث عجيبة، كانت مشوقة للقارئ، فمنها :

-مجئ التابوت الذي فيه السكينة علامة على صدق النبي، وكان في اختيار التابوت ــ دون سواه من دلائل الاعجاز ـــ في هذا الصدد إثارة كبرى للمتلقي."ولو ذهبنا نُتابع الأوصاف التي رافقت هذا الحديث الصناعي، للحظنا، أنّ الصفة المعلمة له هي: كونه محمولاً من قبل الملائكة، كما هو صريح القصة.أما كيفية حمله، فأمرٌ سكتت القصةً عنه تماماً.أنّ (الملائكة) ــ يدخلون في هذه القصة ــ أبطالاً بجانب الأبطال (الآدميين).ومجرد كونهم أبطالاً من غير جنس البشر، كاف في تفجير الإثارة لدى قارئ القصة، وإضفاء المتعة والحيّوية عليها.بيد أنّ الأهمية الفنية لهذا العنصر في القصة، هي: كون هؤلاء الأبطال الملائكيّين، يشكلون عنصر (إعجاز) بجانب عنصر الإعجاز الآخر ونعني به: التابوت." [١]

- (الملائكة) جسّدوا عنصراً فنياً عجائبيا فرضه سياق القصة، الذي يستدعي وجود عنصر من الإعجاز بجانب (التابوت)، حتى يحمل اليهود على الاقتناع بأنّ طالوت - عليه السلام -القائد العسكري المهيّأ لخوض المعركة، إنّما هو مرسل من قبل السماء، لا أنه مجرد شخصية عادية، يمكن الاعتراض عليها، وعلى كونها غير منتسبة إلى الأسر التي توارثت الملك، أو إنها فقيرة لاتملك الأموال مثلاً: على النحو الذي لحظناه في اعتراضات اليهود. [٢]

(١) محمود البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، مؤسسة السبطين العالمية، ١٤٢٥هـ، ص ٥٥ .

(٢) محمود البستاني: السابق ، ص ٥٧ .

-السكينة التي جاءت مع هذا التابوت وسمتها الإعجازية التي اختلفت فيها التفاسير ، مابين قائل بأنها الرحمة، وقيل : السكينة، طست من ذهب، كانت تُغسل فيه قلوب الأنبياء ، أعطاها الله موسى – عليه السلام- فوضع فيها الألواح وقيل: السكينة لها وجه، كوجه الإنسان، ثم هي روح هفافة .وقيل : السكينة رأس هرة ميتة، إذا صرخت في التابوت بصراخ هر ، أيقنوا بالنصر، وجاءهم الفتح. (١)

-النهر العجيب الذي كان اختبارا للقوم، وكان الاختبار أو التجربة متمثلاً في: وجود نهرٍ منعهم طالوت من الشرب منه، إلا في حدود غرفةٍ واحدةٍ، بقدر الكف.لكنّ القوم سقطوا في الاختبار، إلا قليلاً منهم.إنّ القارىء أو المستمع، بمقدوره أن يستخلص بسهولة دلالة هذا الاختبار.ففيما يبدو أنّ العطش وقلة الماء، كان وراء هذه التجربة.لكن السماء ــ دون أدنى شك ــ لا تكلّف الإنسان إلا وسعه. بمعنى أنهم كان من الممكن الصبر على هذا الاختبار، غير المكلف، وخصوصا أنهم سمح لهم بغرفة يد، لكنهم ومن عادتهم عدم تنفيذ أوامر الله، والجبن عند اللقاء، والهروب من الأعداء.

إن حادثة النهر، تشكل ــ في الهيكل الهندسي للقصة ــ موقعاً فنياً له أهميته الكبيرة في تطوير الأحداث، والتنبؤ الفني لنهاياتها.فإذا استعرنا مصطلح اللغة القصصية، أمكننا أن نقول: إن هذه الحادثة تُشكل ما يُسمى في مفاهيم العمل القصصي بـ[لحظة الإنارة] أي :اللحظة التي تلقي الضوء على ما يمكن أن تكون نهاية القصة عليه، بمعنى أنها تسبق النهاية، وتسبق لحظات (التأزم) الاخيرة لنهاية الاحداث.

(١) ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ): تفسير ابن كثير، دار طيبة ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م ، ١ / ٦٦٧ .

إن تأزم الأحداث أي: بلوغها الذروة التي تفضي الى النهاية، قد مهدت لها هذه الحادثة (حادثة النهر). إنها ألقت إنارة على مايمكن أن نتوقّعه من سير المعارك لاحقاً. فإذا كان عدم تناول الماء ــ وهو أمرٌ سهلٌ ــ، لا يبدو أنّ الاسرائيليين مستعدون لتحمّله، فكيف نتوقع أن يتحملوا أعباء القتال؟ مع أنّ عدم تناول الماء لا يُفضي إلى الموت، في حين أنّ القتال مواجهةٌ مباشرةٌ مع الموت [١] .

٧- إرجاء بعض المعلومات التي ظهرت في نهاية القصة، (إرجاء المعلومات) أو ما تسميه القصة الحديثة (المماطلة) يعني : الاحتفاظ بسر لن يكشف إلا بعد حين ٠ ومن المعروف أن المماطلة في الكشف عن أسرار العمل القصصي تزيد من عناصر تشويق المتلقي، وتدفعه للمتابعة المستمرة للأحداث، يقول كاظم الشويلي : " القاص الجيد المتمكن من قصته، هو الذي يخفي أدوات عمله بين الكلمات والجمل والسطور ، ولا يعلن ولا يذيع أسرار قصته في بداية عمله، بل يصبر ويتأنى في عملية سرد الأحداث، ويفاجئ القارئ بحادثة رائعة، ويوقعه في أسر القصة، ويربطه بحبال المماطلة، والتشويق، والمداعبة، والمخادعة ، ويؤجج المشاعر والأحاسيس، ويعرج تصاعديا نحو ذروة الإحداث ثم يبدأ بحل عقد القصة، ويعطي الحلول المناسبة إلى القراء [٢] .

لقد تحقق في هذه القصة (إرجاء المعلومات)، فقد أرجئ ظهور داود عليه السلام ،في قصة طالوت إلى آخر القصة ٠ لقد وجدناه يظهر فجأة في آخر

---

(١) محمود البستاني: قصص القرآن ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) كاظم الشويلي ، من أسرار القصة القصيرة ، موقع زيتونة http://www.zeitoonah.com/contents/auraq/3.html ، وكان متاحا في ٨/١/ ٢٠١٢ م ٠

القصة– بدون ذكر سابق له في البداية ، أو وسط الأحداث – لقد فوجئنا به تُسلم له قيادة الأحداث في النهاية ليصنع النصر. لقد احتل ذكر داود المشهد الأخير من القصة وحده ، فلم نعد نشاهد غيره في المشهد، وكيف لا ؟ وهو الذي أعانه الله فقتل جالوت؛ ولذا أتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء.

لقد أرجئ ذكر داود هنا فلم يذكر إلا في نهاية القصة؛ لمغزى ديني وجمالي معا ، فالملاحظ أنه لم يكن مع الملأ الأغنياء الذين دعوا للحرب، بل كان فقيرا نكرة بالنسبة لهم ، فالملأ تصدروا المشهد دون غيرهم، ولكن ساعة النزال والطعان تخاذل الملأ، وثبت العبد الفقير، ليقلب موازين الناس في نظرتهم للأشياء، فالملأ الذين يملئون العين مهابة في بداية المشهد، جبنوا عند اللقاء، وثبت داود الذي لا يؤبه له، وهكذا انكشفت الحقيقة، وعلم أن النصر من عند الله، لا بالمظاهر الفارغة، والخطب الجوفاء، والكلمات المعسولة .

إذن.نحن أمام بطلٍ متفرد،يتناسب تفرده مع المهمة العسكرية الملقاة على عاتقه،وانبثاق مثل هذا البطل إدانةٌ جديدة لليهود الذين تخاذلوا عن نصرة طالوت، لقد انهزم معظم جيش طالوت، وجمدت عروقهم قبل مباشرة القتال ، لكن البطل طالوت (ومعه فئة قليلة من المؤمنين)، اقتحموا ساحة القتال، وكان (داود) هو البطل المختار لتحقيق النصر؛ و لذا كان لابد أن يكون ذا سمات متفردة، متميزة، مشفوعة بإعجاز من السماء؛ وذلك لسببٍ فنّي واضح في حركة القصة، هو: أنّ المؤمنين ما داموا فئة قليلة، لا يتجاوز عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، حينئذ لابدّ أن يقترن ذلك، بوجود ظاهرة إعجازية تكشف عن دعم السماء، وإسنادها لهؤلاء الأبطال المؤمنين، وكان داود هو الظاهرة المذكورة، بسماتها المتميزة التي شرحتها نصوص التفسير. [1]

(١) ينظر : محمود البستاني ، القصص القرآني ، ص ٧٩.

٨- النهاية السعيدة للقصة، لقد كانت نهاية القصة من النهايات السعيدة المشوقة التي جاءت لمسة سحر، ودواء للجراح، وراحة للمتعبين، وعزاء للمؤمنين، فما كان القارئ يتوقع بعد كل هذه العقبات، أن تصل القصة لنهاية سعيدة للفئة المؤمنة، فالعقبات التي كان يمكن أن تحول دون صنع نهاية سعيدة تمثلت في :

-ذل بني إسرائيل وقوة عدوهم وتشتتهم، وعدم وجود قيادة لهم .

-وجود قيادة طالوت، التي -كانت في نظرهم- لا تستحق لفقره، وعدم وجوده من سلالة الملوك.

-جبن بني إسرائيل عن المواجهة، وخنوعهم، وتراجعهم، وتناقص عددهم، وأخطائهم، وهزيمتهم في الاختبار تلو الاختبار.

-خوف الفئة المؤمنة من كثرة عدد جنود جالوت.

وبالرغم من ذلك فقد صُنعت النهاية من قبل المولى -عز وجل- على أشد ما يحبه المؤمنون، ويغيظ الكافرين، ولذا قال تعالى: (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ)(البقرة:٢٥١) ،فثمة هزيمة للكافرين، وقتل للطاغية، ونصر للمؤمنين، ومُلك لبني إسرائيل لم يحدث من قبل؛ فلقد قدر أن يكون داود هو الذي يتسلم الملك بعد طالوت، ويرثه ابنه سليمان، فيكون عهده هو العهد الذهبي لبني إسرائيل في تاريخهم الطويل، جزاء انتفاضة العقيدة في نفوسهم، بعد الضلال والانتكاس والشرود.

ففي كلمات قليلة حدث النصر الذي كان يستبعده الإسرائيليون، وتم الإعلان عن هزيمة القوم، وتمت مكافأة داود وهو الذي لا يؤبه له، بأن تسلم له القيادة، ليصنع النصر،ويحظى بالملك هو وابنه سليمان، في سابقة لم تحدث في تاريخهم الطويل، ولم يكن ملكا هينا، بل ملك لا ينبغي لأحد من بعد.

لقد وجدنا في هذه النهاية السعيدة كسرا لأفق توقع القارئ، فالقارئ من البداية يتوقع أن النصر سيحققه طالوت، ولاسيما مع صفاته المؤهلة: (العلم ،وبسطة الجسم)،فما بالنا نجد أن طالوت يختفي من المشهد في نهاية القصة،ليصنع النصر بطل آخر أقل شهرة هو داود عليه السلام الذي ظهر فجأة بدون مقدمات، إنها القصة القرآنية المليئة بالإعجاز والإثارة والتشويق.

٩- المناسبة بين البداية والنهاية ، حيث بدأت القصة بملك من الفقراء، وانتهت باختيار صانع النصر من الفقراء، وتكريمه بالملك والنبوة هو وابنه سليمان، وكأن القصة تتحدى الملأ مرتين مرة في اختيار طالوت، ومرة في اختيار داود، لقد آن الأوان في نهاية القصة بأن تسلم الراية للفقراء ليتصدروا المشهد،ويخفت الأغنياء (الملأ)؛ لأنهم رسبوا في الاختبار، وأمعنوا في النكوص والفرار، فعوملوا بما يستحقون، وجوزوا بما يستأهلون، ولا يظلم ربك أحدا. لقد آن الأوان أن تتسلم الفئة المؤمنة في المدينة زمام الأمور ــ أيضًا ــ وتخفت على أثر ذلك قوة الطواغيت من قريش، ومن غيرهم ، وأن في قابل الأيام سيصير الملك للمؤمنين، وتزول عروش كسرى وقيصر، فكما تسلمت القلة المؤمنة زمام الملك، فإن هذا سيحدث للفئة المؤمنة في المدينة أيضا، وكل ذلك بأمر الله تعالى.

الخاتمة

القصة القرآنية معين لا ينضب من الجمال والجلال، فإضافة إلى روعة الخطاب نجد روعة الوسيلة، ولذا ركز هذا البحث على عنصر التشويق في القصة القرآنية، والتشويق مهم في القصة على وجه العموم، وفي القصة القرآنية على وجه الخصوص.

ولا شك أن البلاغة القديمة اهتمت بعنصر التشويق في أثناء وضعها للقواعد المعيارية لفن القول. ولقد عرفنا أهمية التشويق في القصة الحديثة التي وضعت على عاتقها بث روح الإثارة والتشويق في جميع عناصر القصة والتي تشمل عناصر عدة، هي : البداية ،والصراع، والعقدة، والتوقيت، والإيقاع، والنهاية.

كذلك كان التشويق في القصة القرآنية من عوامل شد انتباه القارئ، وحبه لها، بما تضمن من عناصر جاذبة، وجماليات مختلفة ، وتوصلنا للنتائج الآتية:

- لا يوجد في البلاغة القديمة مصطلح خاص بالتشويق، وإنما يوجد عناصر التشويق.
- القصة القرآنية حملت كثيرا من التشويق في بداياتها ونهاياتها وأحداثها وشخصياتها ووقائعها. وغرائبية الحدث وخوارقه، وكسر أفق التوقع، وبراعة التصوير.وروعة الحوار.
- قصة طالوت وجالوت من القصص المفعمة بالتشويق، بما تضمنته من بداية مشوقة، وأحداث عجائبية، وتداخل للعوامل الغيبية مع العوامل البشرية. وما فيها من مفاجآت، وتصوير ، وحوارات.

التوصيات:

وتدعو أخيرا هذه الدراسة الباحثين لدراسات تطبيقيـــة أخـــرى لقصـــص القرآن، تكتشف عناصر التشويق بها، كما تدعو للتنظير للقصة القرآنية، ومعرفة روعة الخطاب وروعة العرض، والله الموفق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المصادر والمراجع

(١) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية، تونس ط١/ ١٩٨٦م.

(٢) إبراهيم محمد عطا (دكتور): عوامل التشويق في القصة القصيرة لطفل المدرسة الابتدائية ، مكتبة النهضة المصرية، ط١ / ١٩٩٤م.

(٣) البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري): صحيح البخاري، تحقيق : محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية – القاهرة الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٠هـ.

(٤) البقاعي (برهان الدين أبو الحسن إبراهيم): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩١م.

(٥) الجرجاني (الإمام عبد القاهر الجرجاني) : أسرار البلاغة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة الطبعة الاولى ،١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٦) جيرار جينت : خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم وآخران، المجلس الأعلى للثقافة ، بمصر، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م.

(٧) أبو حيان الأندلسي(محمد بن يوسف): البحر المحيط، تحقيق : عادل أحمد، على معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

(٨) رجب أحمد عبد الرحيم (دكتور): البدايات والنهايات في القصة القرآنية ، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، دبي عام ٢٠١٥م.

(٩) رشاد رشدي: ما هو الأدب، القاهرة ، الأنجلو المصرية، ط١٩٦٠م .

(١٠) رمضان على عبود (دكتور): الزمن في قصص جمال نوري، مجلة آداب الفراهيدي، العدد ١٧، ٢٠١٢م.

(١١) السكاكي(أبو يعقوب السكاكي) : مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(١٢) صالح على حسين الجميلي(دكتور) : الحدث وتشكيلاته في قصص حسن حميد، مجلة جامعة تكريت، مجلد١٧ ع١ / ٢٠١٠م

(١٣) عبد الحفيظ أحمد أديدميج : أساليب التشويق البلاغية في الأحاديث النبوية من خلال الصحيحين، رسالة ماجستير مخطوطة ، إشراف الأستاذ الدكتور الشحات محمد أبو ستيت ، كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، قسم الأدب والبلاغة ،١٤٢٤هـ .

(١٤) عبد الله إبراهيم: البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩٤م .المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي،بيروت،ط١ – ١٩٩٠م.

(١٥) علي بن محمد الحمود: من أساليب التشويق في قصص القرآن. مجلة العلوم العربية ، السعودية، 2010م ١٤٣١هـ.

(١٦) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري): كتاب عيون الأخبار، المجلد الأول، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٤٢٥هـ .

(١٧) القزويني ،الخطيب : الإيضاح (وعلى هامشه البغية لعبد المتعال الصعيدي)، مكتبة الآداب (القاهرة). (١٤١٢هـ-١٩٩١م).

(١٨) كاظم الشويلي ، من أسرار القصة القصيرة ، موقع زيتونة http://www.zeitoonah.com/contents/auraq/3.html ، وكان متاحا في ٨ / ١ / ٢٠١٢ م .

(١٩) ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي): تفسير ابن كثير، دار طيبة ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٢٠) الإمام محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

(٢١) محمد يوسف نجم (دكتور) : فن كتابة القصة ، دار الثقافة ، بيروت.

(٢٢) محمود البستاني : قصص القرآن دلاليا وجماليا، مؤسسة السبطين العالمية، ١٤٢٥هـ .

(٢٣) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق : أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، طبعة أولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٢٤) وهبة الزحيلي (دكتور) : القصة القرآنية، دار الخير، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.